وان علم الاجتماع كغيره من العلوم التي حظيت باهتمام كبير وواسع من قبل المفكرين والباحثين الغربيين. لكن هذا لم يكن حكرا عليهم فقط، بل لقي اهتماما كبيرا من قبل المفكرين والباحثين العرب، وخاصة الجزائريين أمثال: علي الكنز، عدي الهواري (إضافة!) وغيرهم الذين شكلت لهم الجزائر أرض خصبة للبحث والاستكشاف حتى وهم كيونوا حديثي النشأة أمثال: بيار بورديو. وسنحاول تناول إسهامات كل من: علي الكنز وعدي الهواري وبيار بورديو في تأسيل السوسيولوجيا الجزائرية بكل ما هي مختلف الرؤى والاتجاهات التي قام بها هؤلاء، والتي كونت اللبنات الأولى لعلم الاجتماع في الجزائر.

١- علي الكنز: هو علي الكنز (1946 - 1886) يكونه أحد الرواد الثلاثة الذين تركوا بصمة في السوسيولوجيا الجزائرية، وقد ضمت هذه المجموعة الجيل الأول المؤسس لعلم الاجتماع في الجزائر (بالإضافة!) كل من سعيد شيخي ومبارك عمايدي، حيث قام الثلاثي بدراسة حول مركب الحجار بعنابة تحت عنوان: الصناعة والمجتمع حالة مصنع الحديد الفولاذ بعنابة سنة 1982 ثم تبعوها بأعمالهم الفردية كل على شكل رسائل دكتوراه، كانت الأولى مع علي الكنز بعنوان: "مونوغرافيا التجربة الصناعية في الجزائر" والتي نشرت فيما بعد بفرنسا بعنوان: تجربة صناعية في الجزائر - سنة 1987.

فقد كان مفكرا موسوعيا متخصصا في الفلسفة وعلم الاجتماع غزير الإنتاج حيث ترك لنا هائلا من الأعمال المنشورة في صيغة كتب ومقالات ومقابلات صحفية، فنذكر منها ما يلي:

وقد تناولت مؤلفاته الرئيسية موضوع علم الاجتماع العمل، تصوراته حول العمل، أهم الفواعل الاجتماعية الخاصة بالعمل ومحيط الصناعة في الجزائر.

من خلال تحليله للواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري استخلص بعض المسائل المتعلقة بالتصنيع والتنمية في الجزائر، فقد اهتم بالبحث السوسيولوجي لوسيلة تقنية تتيح للقراء واقع المجتمع الجزائري ومحاولة فهمه

استطاع علي كنز أن يلتقط بأدواته علم الاجتماع اللصيق باللحظة الشعبية جملة من التحولات التي عرفها الشارع الجزائري.

- كانت قناعته كبيرة بالتركيز على التصنيع وجعله محور التحديث الذي تقوم عليه الجزائر، فكان من الأوائل الذين تخصصوا في علم الاجتماع الصناعي وباشر الكتابة فيه ووضع أسسه له.

- تجاوز علي كنز بحسه الثقافي والوطني فخ اللغة وما ترتب عنه من نقاشات وجدل وصراعات بين النخب الجزائرية، وراح يركز على الجوهر المعرفي القادر على اللحظة الوطنية بانتخابه من مفردات تنسجم مع تحولاتها وتعدياتها، فبات وجيها للطرفين.

- كان إشرافه على سلسلة "الأنيس" ذا أهمية كبيرة في تشكيل وعي معرفي وطني في مشهد جزائري غارق في تجربة عنف وإرهاب طابع باسم الهوية، ذلك أن السلسلة استدعت نصوصا مركزية عربية وإنسانية متنوعة بمقدمات وضعها الباحثون ومفكرون كان هو وليدا منهم.

- كان فكر علي كنز فكرا هادئا ذا اتجاه بوليوجيا المكرسة للهيمنة والإيديولوجيا السياسية والمؤسسية مما حظيه مستهدفا ومهددا" إلى جانب نخبة من المفكرين من أمثال: "الجيلالي اليابس، عبد القادر مولوة، بختي بن عودة، أبو بكر بلقايد" فوجد نفسه مضطرا للهجرة من تونس إلى فرنسا.

في كتاب علي كنز " خمسة دراسات حول الجزائر والعالم العربي" فيقول: إنه يتناول ظاهرة ذو بلبه المثقف وتبعيته السياسية رابطا هذه الهامشية بأصولها التاريخية وبالضبط إلى لحظة تشكل الوعي الوطني المقاوم للكولونيالية الفرنسية، التي تخلف فيها المثقفون عن الالتحاق بصفوف الحركة الوطنية "أو التحقوا متأخرين جدا".

- سجل علي كنز أن الحركة الوطنية عمليا نشأت وترعرعت من دون مشاركة المثقف وبعد التحاقهم بها لم يتمكنوا من التأثير فيها لا من حيث المحتوى ولا من حيث التطور، فأصبحوا عبارة عن بيادق بيد أيدي رجال الحركة الوطنية الراديكالية لقوله اللغة.

- جاءت دعوة المفكر "علي كنز" من خلال طرحه لإشكالية "

والتي رأى فيها إنسان الهوى بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، وبسبب هذه الثنائية عانية المفكر أطوار المحنة الجزائرية في بداية تسعينيات القرن الماضي وكتب كتبه حول قبل أن تتحول إلى شكلها الدموي الذي أصبحت الجزائر ضحيته الأولى من الجزائريين.

قام علي كنز بإجراء دراسات ميدانية معمقة في المركبات الصناعية الكبرى بالجزائر، وعلى رأسها مركب الحجار للصلب والفولاذ في عنابة.

- لم تقتصر دراسته على الجوانب التقنية للعمل بل شملت العلاقات الاجتماعية بين العمال، وظروف العمل وتأثير التصنيع على المجتمع المحلي.

- كانت هذه الدراسات رائدة في فهم التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال، ساهمت أبحاثه في تأسيس مجال علم اجتماع العمل والتنظيم في الجزائر والذي كان مجالاً "جديداً" نسبياً في ذلك الوقت "أشرف على العديد من الرسائل الجامعية في هذا المجال، وساهم في تكوين جيل من الباحثين المتخصصين في علم إجتماع العمل.

كان علي كنز عضواً "فاعلاً" في العديد من المؤسسات العلمية والبحثية، مثل مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في وهران، ومجلس تنمية البحوث الاجتماعية في إفريقيا.

- شارك في تأسيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع التي تهدف إلى تعزيز البحث الاجتماعي في العالم العربي.

- ساهم في إثراء المحتوى العلمي للعديد من المجلات العلمية مثل:
مجلة "إنسانيات" الصادرة عن مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية" في وهران.

- ساهم في نشر حصيلة بحوث في العلوم الاجتماعية في الجزائر والعالم العربي.
في مجلة إنسانيات والمجلة الجزائرية للكتب ومختلف المؤتمرات الكبرى.

تحليل التحولات الاجتماعية في الجزائر:

- إهتم كنز بتحليل تأثير سياسات التنمية والتصنيع على المجتمع الجزائري.
- درس التغيرات في البنية الاجتماعية، وظهور طبقات اجتماعية جديدة.
وتأثير التحديث على القيم والعادات التقليدية.

- قام بتحليل الأسباب و النتائج الاجتماعية الأزمة الاقتصادية التي شهدتها الجزائر في التسعينات والتسعينات. تناول قضايا مثل: التنمية والتصنيع والتغيير الاجتماعي والأزمة الاقتصادية.

- نشر العديد من الكتب والمقالات التي تناولت قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية، كانت كتاباته تتميز بالتحليل العميق والرؤية النقدية.

- ساهم في إثراء النقاش الفكري في الجزائر والعالم العربي من خلال كتاباته ومقالاته المنشورة في الصحف والمجلات العلمية المتخصصة جريدة "الحوار" وجريدة "الوطن".

- كان له دور بارز في تكوين أجيال من الباحثين وعلماء الاجتماع في الجزائر والعالم العربي، ارتبط في جميع المحطات بصداقات علمية. وكان عضوا "نشطا" في الجمعية العلمية "إينماحل"، كما ساهم في تطوير البحث العلمي وإثراء الإنتاج الفكري والنقاش الفكري بعضويته النشطة في أهم الجمعيات العلمية والمراكز البحثية.

أفكار عدي الهواري في سوسيولوجيا الجزائر:

تحدث الهواري عدي عن "التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائري" (الأسرة والروابط الاجتماعية).

حيث يوضح عدي الهواري من خلال دراسته التي نشرها في الكتاب السابق ذكره أن المجتمع الجزائري عرف تحولات كبيرة بعد الاستقلال، حيث ظهر هذا التغيير بوضوح على الأسرة الجزائرية، وشملت كل الروابط المختلفة، فبدأ بالزوج الريفي نحو المدن الذي أدى بأزمة الرابطة الاجتماعية - حيث كانت الروابط الاجتماعية دموية حموية، وتحولت إلى مرحلية حديثة و ظهر على إثرها الأسرة النووية. فالمجتمع حسب رأيه يقوم على العائلة الكبيرة أو ما يعرف بالعائلة الممتدة - التي تكون السلطة فيها سلطة أبوية - سلطة الأب - والزواج فيها في الغالب زواج أقارب.

ويرى الهواري عدي أن أزمة السكن من الأسباب الرئيسية في تغيير نمط الأسرة

والتي يترتب عنها انفصال الأسرة النووية عن الأسرة الكبيرة مما يؤدي ذلك إلى تباعد الروابط.

مما قلص من زواج الأقارب وخلقت الزواج الخارجي مما زاد في تغيير رابطة القرابة.

ويرى الهواري كذلك أن التطور في الثقافة، الاقتصاد والسياسة تخطي الاستقلالية والتنوع، ويقصد الهواري بالحداثة تلك التحولات في الروابط الممولة بالمواصلات، دون أن يلغي الثقافة التي يتصف بها التنشأة الاجتماعية الأسرية.

واعتبر كذلك أن الأرض هي المحور الأساسي للعلاقات بين أفراد العائلة، ومصدر رزقهم. لكن مع دخول المستعمر وادخاله بعض التنظيمات غير الأرض، بدأ بعض الأفراد داخل العائلة يعمل على موارد خارج خدمة هذه الأرض التي كانت هي مصدر الأرزاق.

كانت تلك بمثابة البدايات الأولى لتحول شكل العلاقة السلطوية داخل التنظيمات، ورغم ذلك ظلت الأرض ولا زالت رأسمال أساسي للعائلة.

واعتبر الهواري عدي أن مكانة العائلة بين العائلات الأخرى في القبيلة تتحدد من رأس مالها المادي والرمزي فالمادي يكمن في رؤوس الأموال والرمزي تتمثل في العراقة والنسب ومنها يستمد الأب سلطته وشرعيته وقوته من تلك المعطيات الموضوعية كالحنكة وقوة الشخصية وكبر السن والحلم وغيرها.

وأشار الهواري عدي إلى حقيقة أخرى هي أن الجزائر الريفية تمثل الحقيقة المهيمنة قبل الاحتلال وهي لا تعرف نوع الطبقات المعروفة حاليا. وأن العلاقات الاجتماعية لا تستورد بل هي ثمرة ونتاج التطور التاريخي لكل مجتمع.

وأنّ على أن المستعمر الفرنسي كغيره من المستعمرين
إذ استهدف تحطيم البنية الأساسية المجتمع وهي القبيلة
أو ما يعرف بالعرش، والعمل على تفكيكها، وقد تعرضت
المستعمر لهجوم و مقاومة عنيفة من قبل القبيلة
عن طريق الجماعة.

وعند رأى عدي الهواري أن نظام المرابطين قد تطور
جداً قبل الاستعمار، و جُدِّدَ في الحقبة الاستعمارية على
شكل حفلات موسمية كالتويزة- الزردة وغيرها من الطقوس
وفي هذه التجمعات يلتقي الأهل والأقارب حتى ولو كانوا
لا ينتمون إلى العائلة الواحدة/ شجرة العائلة.

ثم انتقد الهواري عدي العالم مراد بودية في
عدة مفاهيم كـ: الدوار والراعي المحترف والغربي
إذ رأى أن مصطلح الدوار ظهر مع قانون 22 أفريل 1947
والراعي المحترف الذي كان ينتشر في الهضاب العليا ولم
يكن راعي محترف بل كان ينتقل المجتمع بأكمله كبنية

3- بيار بورديو: Pierre Bourdieu اقد درس بيار بورديو التحولات الاجتماعية والثقافية التي أحدثها الاستعمار الفرنسي في المجتمع الجزائري وخاصة على مستوى تركيبته (القبيلة، العائلة الريفية) وكيف أثر الاستعمار على الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وساهم في خلق ممارسات ثقافية وهوية ممزقة من التقاليد والحداثة الغربية.

فقد ركز على المجتمعات الريفية والقبائل الأمازيغية خاصة في منطقة القبائل، توصل إلى أن تلك المجتمعات تملك منطقا خاصا في تنظيم العمل والملكية والسلطة إلى الشرف والعرض وأنها تختلف عن النظرة الغربية.

كما أظهر أن القيم التقليدية ليست بدائية بل منسجمة مع منطقها الاجتماعي وهذا ساعده لاحقا في تطوير مفهوم الهابيتوس.

كان بورديو من الأوائل الذين انتقدوا فرض نماذج التنمية الغربية على المجتمعات المستعمرة، فالتحديث لا يعني دائما التقدم بل يمكن أن يؤدي إلى تدمير التوازنات التقليدية دون بناء بدائل فعالة.

وما يبرز إسهام بيار بورديو في تشكيل السوسيولوجيا الجزائرية مجموعة الدراسات التي قام بها على المجتمع الجزائري والتي أسس من خلالها لأطروحاته ومفاهيمه والتي من أبرزها: الهابيتوس، رأس المال الرمزي، إعادة الإنتاج العنف الرمزي، المجال، الحيثية الذكورية.

فقد شكلت له التجربة الجزائرية أساسا للتجريب، وكيف يمكن فهم المجتمعات من واقعها وليس من خلال نظريات مفروضة.

ولعل من أهم ما تناوله حول المجتمع الجزائري نادم مع أول كتاب له حول المجتمع الجزائري سنة 1958 بعنوان Sociologie de l'Algérie السوسيولوجيا في الجزائر وهو دراسة عامة للمجتمع الجزائري.

ثم عقب ذلك مجموعة من المقالات حول المجتمع الجزائري: الأزمة والعمل، الحيثية الذكورية. تحليل للاقتصاد الرمزي في المجتمعات التقليدية.

الجزائر 1960: مسائل اقتصادية واجتماعية، حيث من خلال عدة دراسات حول التغير الاجتماعي والاقتصادي.